Research Journal Ulum-e-Islamia
Journal Home Page: https://journals.iub.edu.pk/index.php/Ulum.e.Islamia/index
ISSN: 2073-5146(Print) ISSN: 2710-5393(Online) E-Mail:muloomi@iub.edu.pk
Vol.No: 31, Issue:01. (Jan-June 2024) Date of Publication: 17-05-2024
Published by: Department of Islamic Studies, The Islamia University of Bahawalpur

التشبيه الصريح في الحديث النبوي: صحيح مسلم نموذجا

Explicit simile in the Prophet's Hadith: Sahih Muslim as an example

Syed Nour
Assistant Professor & Chairman
Dept. of Sciences of Hadith & Islamic Studies
International Islamic University Chittagong
Email: syednouriiuc@gmail.com

Abstract:

It is no wonder that prophetic speech receives the attention of rhetoricians, and that books and works write about it at all times. It is one of the highest and most honorable speech. It increases in generosity, goodness, generosity, and beauty as time progresses over it. The Prophet (SWT) bore witness to that, as People knowledgeable about the arts of speech and the layers of speech testified to his high eloquence. The hadiths of our Prophet (SWT) included all kinds of rhetoric, beauty and eloquence. Because the hadiths are also inspired by Almighty Allah. Because simile is a method of sophisticated expression in Arabic, with which speech is sweet, loud, sublime, and sublime. We see it in the Holy Qur'an, the Prophet's hadith, and in poetry and prose, because of its ability to influence, express, clarify, and persuade. The study was limited to mentioning some examples from Sahih Muslim.

Keywords: Simile, Clear, Al-Hadith, Sahih, Muslim.

المقدمة:

إن الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيري الذي هو ثاني أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى عند جمهور المحدثين يعتبر أحد كتب السنة المعتمدة في ميدان الحديث النبوي الشريف. وقد قدمه علماء المغاربة على الجامع الصحيح للإمام البخاري. وهذا الكتاب يحتل مكانة هامة بين كتب السنة النبوية الشريفة حيث لابد أن يعتنى بدراسته، وأن يهتم بشروحه، وكشف النقاب عن شرط صاحبه فيه، وأن يقوم بدراسة أحاديثه من حيث الأدبية والبلاغية.

لا غرو أن يحظى الكلام النبوي باهتمام أهل البلاغة، وأن تسطر فيه الكتب والمصنفات في كل زمان، فهو كلام من أرفع الكلام وأشرفه، يزداد عطاء وحسنا وسخاء وجمالا كلما يتقدم عليه الزمن، وقد شهد على ذلك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: أعطيت جوامع الكلم[1]، وشهد على بلاغته العالية صلى الله عليه وسلم أهل العلم بفنون القول وطبقات الكلام، كما قال الجاحظ: ولم يسمع الناس قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا

أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلامه المصطفى صلى الله عليه وسلم[2]، إن أحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم قد اشتملت أصناف البلاغية، وألوان الجمال والفصاحة؛ لأن الأحاديث أيضا من وحي الله سبحانه وتعالى. وهذا البحث سوف يكشف عن وجه من وجوه بلاغته صلى الله عليه وسلم. وذلك التشبيه الصريح في أحاديثه صلى الله عليه وسلم، لأن التشبيه أسلوب من أساليب التعبير الراقي في العربية، يحلو به الكلام، ويعلو ويسخو ويسمو، نراه في القرآن الكريم والحديث النبوي، وفي الشعر والنثر، لما فيه من قدرة على التأثير والتعبير، والإبانة والإقناع. وقد حصرت الدراسة بذكر بعض النماذج من صحيح مسلم. وقسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول: مفهوم التشبيه وأنواعه، والمبحث الثاني: التشبيه المفرد في صحيح مسلم، والمبحث الثالث: التشبيه المركب في صحيح مسلم، ثم انتهيت بالخاتمة. الله ولي التوفيق والسداد، إنه قادر على ذلك.

المبحث الأول: مفهوم التشبيه و أنواعه

التشبيه لغة:

جاء في لسان العرب: الشِّبه والشَّبه والشبيه: المِثل، وأشبَه الشيءُ الشيءَ: أي ماثله، وشبَّه إياه وشبهه به مثله. والمتشبهات من الأمور: المشكلات[3].

يقول ابن فارس: الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا[4].

قال الجوهري في تاج اللغة: (المتشابهات: المتماثلات، وتشبه فلان بكذا. والتشبيه: التمثيل)[5].

التشبيه اصطلاحا:

هو تصوير شيء بشيء آخر، أو تشبيه شيء بشيء آخر. قد تكون بواسطة أداة تشبيه أو لا تكون بواسطة بأداة تشبيه.

عرف ابن رشيق القيرواني: إن التشبيه هو صفة الشيء بما قاربه، وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة[6].

قال عبد القاهر الجرجاني التشبيه هو: أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكما من أحكامه، كإثبات للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما يفصل بالنور بين الأشياء[7].

عرفه السكاكي بقوله: إن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر[8].

واضح من هذه التعريفات السابقة أنها تدور حول معنى واحد، وهو اشتراك المشبه والمشبه به في وصف يجمعهما.

أنواع التشبيه:

من المعروف أن التشبيه الصريح ينقسم إلى قسمين وهما: التشبيه المفرد، والتشبيه المركب.

ثم التشبيه المفرد ينقسم إلى ثلاثة أنواع، وهي: التشبيه المفصل، والتشبيه المجمل، والتشبيه البليغ.

التشبيه المفصل: وهو التشبيه المذكور فيه أركان التشبيه الأربعة. مثل: المعلم كالبحر في الجود.

التشبيه المجمل: وهو ذلك التشبيه الذي يكون محذوف منه إحدى الركنين الآتيين (أداة التشبيه، ووجه الشبه)؛ فإذا حذفنا (أداة التشبيه فقط) يكون تشبيها مجملا، مثل: محمد أسد في الشجاعة. وإذا حذفنا (وجه الشبه فقط) يكون تشبيها مجملا أيضا، مثل: محمد كالأسد.

الشبيه البليغ: وهو ذلك التشبيه الذي نحذف منه الركنين الآتيين (أداة التشبيه، ووجه الشبه) ويبقى الركنان الآخران (المشبه والمشبه به). مثل: العلم نور، محمد أسد.

ثم التشبيه المركب ينقسم على قسمين وهما: التشبيه التمثيلي، والتشبيه الضمني،.

التشبيه التمثيلي: وهو ذلك التشبيه الذي يكون فيه تشبيه جملة كاملة بجملة أخرى كاملة بينهما أداة تشبيه. الصورة الأولى نشاهدها، والصورة الثانية نتخيلها. مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[9] . نلاحظ في المثال السابق شبه الله سبحانه وتعالى صورة بصورة أخرى بدون أداة تشبيه.

التشبيه الضمني: وهو ذلك التشبيه الذي يكون فيه تشبيه جملة بجملة أخرى دون أداة تشبيه، وتكون الجملة الأولى قضية والجملة الثانية دليل عليها. كما قال الشاعر:

ومن يهن يسهل الهوان عليه – ما لجرح بميت إيلام

حيث شبه الشاعر الإنسان الذي يقبل الهوان والذل على نفسه بالميت الذي لا يشعر بشيء.

كما نلاحظ في السابق أن الشاعر قد شبه صورة كاملة (ومن يهن يسهل الهوان عليه). بصورة أخرى كاملة (ما لجرح ميت إيلام) دون أداة تشبيه[10].

المبحث الثاني: التشبيه المفرد في صحيح مسلم

كثر التشبيه المفرد الصريح في سياق الحديث عن الترغيب والترهيب، وعن إبانة المقدار، وعن أشراط الساعة وفتنة الدجال، وعن مشاهد العالم الآخر وغير ذلك. أذكر بعض النماذج من صحيح مسلم، والله ولي التوفيق.

الحديث الأول:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر[11].

شبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث قتال المسلم للمسلم بالكفر، وأراد به التغليظ والتهديد والتشديد في الوعيد[12]. وليبلغ الغاية في ذلك أسقط كاف التشبيه، ولم يقل (قتاله كالكفر). وهذا التشبيه يسمى تشبيه بليغ. فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد من خلال إسقاط الكاف أن يذهب مذب التشديد والمبالغة في الوعيد، وذلك للتاثير في المخاطب والإغلاظ فيه، لأن قوله (وقتاله كفر) أشد تأثيرا، وقوى وقعا من القول الآخر في مثل هذا الموقف (وقتاله كالكفر)، فوجود الكاف معناه التمايز وعدم التداخل، وأن المشبه لم يرتق إلى المشبه به.

وفيه أيضا مواجهة للمخاطب، لا لين فيها، وقول له دون مواربة وشك: إن قتاله المسلم ضلال وكفر، ولا يفعل هذا غير فاقد العقل، الذي طبع على عقله وقلبه وسمعه وبصره، لأن ما فعله مخرجه من حال إلى حال آخر، ومنقلب به من الجنة إلى النار.

ويلاحظ هناك علاقة من نوع خاص بين جملة التشبيه، والجملة التي قبلها (وهي جملة سباب المسلم فسوق)، وهذه العلاقة هي السببية؛ إذ السّباب كثيرا ما يؤدي إلى القتال. لأن هذا الحديث ورد في رجل يشاتم الناس، ولم يذكر أنه يقاتلهم، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استدعى قوله : (وقتاله كفر) لإدراكه أن مشاتمة الناس وسبابه قد تؤدي إلى القتل والقتال، وهذا ما يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستئصله من أصوله.

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار[13].

التشبيه النبوي في هذا الحديث يقوم على قرن (السعي على الأرملة والمسكين) بأحد مكوني المشبه به وهما (الجهاد في سبيل الله، أو القيام الدائم والصيام المستمر) لغرض الإبانة عن علو أجر السعي والترغيب فيه، مع أن المراد من قرن السعي بهذين العملين هو أحد العملين، بدلالة حرف العطف (أو)، وهو حرف يدل على اختيار أحد المتعاطفين.

رتب النبي صلى الله عليه وسلم مكوني المشبه به تبعا لوضوح الأجر الناتج عن كل عمل، فبدأ بالواضح ثم انتقل إلى الأوضح؛ لأن الأجر العظيم للجهاد يتضح أكثر مع الصيام الدائم والقيام المستمر؛ لأن ما ينتج عن الصيام والقيام من أجر لا يستطيع أحد أن يحصله لاستحالة القيام بهذين الفعلين.

وإضافة إلى التساوي بين الساعي والمجاهد في الأجر، فإن بينهما العديد من الصلات كالهمة العالية، والعزيمة الصلبة؛ لأن من ينفر في سبيل الله ويصبر على القيام والصيام الدائمين لا يمكن إلا أن يكون وصفه هكذا.

وكذلك يلتقي هذا الساعي مع المجاهد والصائم القائم في الظهور على النفس، والاتصال الدائم بالله؛ لأن أهل الجهاد-كما هو معلوم- وكذا أهل الصيام والقيام في صلة دائمة بالله، وقهر متجدد للشيطان.

كذلك يلتقيان أيضا في استعمال صيغة اسم الفاعل: (الساعي، المجاهد، القائم، الصائم)، وفي ذلك دلالة على استمرار هذه الأوصاف في أولئك العاملين حتى لكأنها طبع من طباعهم، وجبلة خلقوا عليها.

الحديث الثالث:

عن جابربن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما لي أراكم ر افعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة[14].

شبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث رفع أيدي المصلين بحركة أذناب خيل شمس، حينما لحظ النبي صلى الله عليه وسلم المصلين وهم يرفعون أيديهم في الصلاة، فأنكر ذلك عليهم، بل شدد في النكير لما شبه ما فعلوه بحركة أذناب خيل شمس، لا تهدأ، ولا تسكن، فبالغ وشدد. ولا شك أن مثل هذا التشديد قد أثار دهشة السامع واستغرابه، وذلك لما بين المشبه والمشبه به من بعد لا يعقل معه أن يلتقيا، فلهذا بنى النبي صلى الله عليه وسلم تشبيهه على حرف التوكيد والتشبيه (كأن)؛ ليؤكد للسامع أن حركة يده لا تختلف عن حركة أذناب الخيل الهائجة، فأراه بذلك يده تروح وتجيء، وتطير في كل وجهة.

ولا شك أن وصف المصلي بهذا الوصف يدل على معاني السكون والخشوع في الصلاة، لهذه قصد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى مواجهة المصلي صراحة، فبدأ بأسلوب الاستفهام الذي خرج إلى الإنكار والتوبيخ، ثم أعقب جملة التشبيه بجملة طلبية، طلب فيها منه صراحة أن يسكن في الصلاة بقوله: (اسكنوا في الصلاة).

يُقصد بهذا التشبيه شدة المشبه به، فقد بناه النبي صلى الله عليه وسلم على معنى يفر العاقل من الاتصاف به: (أذناب خيل شمس)، ويفسر هذه الشدة أنه مسوق في سياق الحديث عن ركن جليل عظيم القدر في ميزان الإسلام، ولا يصلح مع هذا السياق التهاون والتساهل، بل لا بد من القسوة والشدة التي تجعل السامع يؤدي صلاته

أحسن أداء، فيتجنب كل ما يخل بها. وإليه أشار العلامة ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: والتشبيه بالأشياء الخسيسة يناسب تركه في الصلاة[15].

الحديث الرابع:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها. فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف[16].

إن النبي صلى الله عليه وسلم أراد هنا أن يكشف للمصلين عن الهيئة التي يجب أن يلزموها في صلواتهم، ولكنه لم يلقها على أسماعهم مباشرة، وإنما سلك إليها من طريق غير مباشر، من خلال تشبيه، فيه الكثير من الترغيب للسامع، فجعل هيئة صف المصلين كهيئة صف الملائكة، وبدأ التشبيه بحرف العرض (ألا)؛ ليحث السامع على هذه الهيئة، ويرغب فيها، ويفخم من شأنها، ولم يكتف بذلك، بل قيد ذلك الصف بالظرف والمضاف إليها (عند ربها)، وذاك صفّ يرغب فيه كل مؤمن مصل.

وحرص النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد الترغيب بهذه الهيئة على نقل المشهد المهيب نقلا حيا للسامع من خلال إيثار الفعل المضارع (تصف) لما يتصف به من دلالة على الزمن الحاضر، وقدرة على استحضار المشهد.

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يلقي الرغبة والشوق في قلوب المصلين، حيث أنهم سألوا (وكيف تصف الملائكة عند ربها؟)، فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف). وهذا أسلوب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، فإذا هو مستقر في نفوسهم أشد الاستقرار، وإذا هم مقبلون على هذه الهيئة من الصلاة أشد الإقبال وأحسنه وأدومه.

الحديث الخامس:

كثر التشبيه المفرد الصريح في سياق الحديث عن أشراط الساعة لا سيما فتنة المسيح الدجال. فمن ذلك ما جاء **عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأنه عينه عنبة طافية[17].**

جاء التشبيه في هذا الحديث في قوله: (كأن عينه عنبة طافية) بمنزلة توكيد لِما سبقه من كلام؛ لأنه قرر العور ابتداء، ثم قدم شكلا قبيحا مشوها لهذا العور بجعل العين عنبة طافية. ولا شك أن في هذا مزيد تأكيد على كذب دعوى المسيح الدجال، فهو ليس بأعور، بل قبيح العور.

والجدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كرر في هذا الحديث لفظة العين مصرحا بها مرتين (عين، عينه) مضمرة مرة واحدة (كأنها). قصد من ذلك صرف خيال السامع إلى النظر في هذه العين حتى يعاين شكلها، ويطيل التأمل في قبحها؛ ليصل من ذلك إلى يقين راسخ بكذب دعوى المسيح الدجال، وأنه ليس غير مخلوق ناقص يرغب في فتنة الناس، وكبهم في النار.

كأن رغبة النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يغفل السامع عن تلك الهيئة الدالة على كذب الدجال، كي لا يفتن في دينه إن ظهر الدجال في زمانه، فيهلك مع الهالكين؛ لأن فتنة الدجال فتنة عظيمة الخطب تختلط فيها الأمور، فإذا

جنته نار، وإذا ناره جنة، فيصب على كثير من الناس التمييز والتفريق، وحال كهذه تستلزم الكثير من المؤكدات كي تقر نفس السامع ما حييت بكذب الدجال فلا يقع في أعاجيبه المخيفة.

الحديث السادس:

جاء التشبيه المفرد الصريح عن بيان مشاهد العالم الآخر في أحاديث كثيرة، من ذلك ما رواه **أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما بين النفختين أربعون. قال: أربعون يوما؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**[18].

عرض النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث مشهدا غيبيا بعيدا عن حس الإنسان، وهو مشهد البعث والخروج، لذلك أتى له بصورة البقل تحت الأرض، فإذا ما نزل عليه القطر دبت الحياة فيه، وانطلق مسرعا من باطن الأرض إلى ظاهرها، فنقل لنا بهذه الصور صورة الإنسان الذي يحيا من بعد موت، ويخرج من باطن الأرض إلى فوقها.

جاء المشبه على سبيل الاستعارة، أتى بالفعل (ينبتون)، ودمج بذلك صورة البعث وصورة النبات، فأكد مزيد توكيد على أن مشهد البعث لا يختلف أبدا عن مشهد النبات.

حدث النبي صلى الله عليه وسلم مشهد البعث بصيغة المضارع (ينبتون، ينبت)؛ ليدل كأنه يجرى الآن على مرأى منا ومسمع، فنزّل الغائب منزلة الحاضر، وما سيقع منزلة الواقع، فتضافرت مكونات التشبيه من مجاز وأفعال في التعبير عن المشهد على أحسن وجه، وليس خافيا أن إسقاط مكوّن من هذه المكونات سيجعل الكلام قاصرا عن مناسبة المقام ؛ لأن الحديث يدور حول صورة غريبة لا صلة لها بعالم الشهادة الذي ألِفه الإنسان، وتعود عليه.

الحديث السابع:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدا [19].

وقع في هذا الحديث عدة تشبيهات، دارت كلها حول مفردة (حوضي)، ووقعت كلها أخبارا لهذه المفردة الشريفة، وقد عرض الأول منها لسعة الحوض، وامتداده البعيد من خلال قرنه بما هو مثال للبعد البعيد لدى السامع (مسيرة شهر) إلا أن إشكالا يرد هنا حول المراد من التشبيه، أهو التقريب أم تحديد المقدار؟

يقول الإمام النووي رواية عن القاضي عياض: هذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبا للاضطراب؛ فإنه لم يأت في حديث واحد، بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة، ضربها النبي صلى الله عليه وسلم في كل واحد منها مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته، وقرب ذلك من الأفهام، لبعد ما بين البلاد المذكورة ، لا على التقدير الموضوع للتحديد، بل للإعلام بعظم هذه المسافات، فبهذا تجمع الروايات[20].

وعرضت التشبيهات الثلاثة التالية لأوصاف أخر من أوصاف الحوض، وذلك ليكتمل بناء الحوض الشريف في حس السامع، وقد بدأها النبي صلى الله عليه وسلم بوصف ماء الحوض: (ماؤه أبيض من اللبن)، من خلال ما هو مثال على البياض لدى السامع، وهو: (اللبن)، وأخرج المعنى من خلال أسلوب التشبيه الضمني القائم على التفضيل،

والذي يدل على أن الشبه أمر مفروغ منه، ومقطوع به، وأن المسألة فيه تتجاوز المقارنة إلى تفضيل المشبه على المشبه به في الصفة الجامعة.

وبين التشبيه الثاني حول بيان طيب رائحة ماء الحوض من خلال قرنها بما هو عنوان لطيب الرائحة لدى السامع في الحياة الدنيا: (المسك)، وكرر الأسلوب ذاته الذي قام عليه سابقه، إذ بني على أسلوب التفضيل (أطيب)، ولا تخفى مناسبة ذلك الأسلوب للحديث عن أوصاف الجنة، ذلك أن الجنة عالم لا نظير له في الحسن.

وبين التشبيه الثالث: (كيزانه كنجوم السماء) كثرة الأباريق بتشبيه هذه الكثرة بما رسخ في الأذهان من كثرة عدد النجوم.

الحديث الثامن:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه[21].

يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث جسد المرأة الفاتن الجميل بصورة الشيطان في صفة الإثارة والإغواء والإضلال، ولكن لابد من ملاحظة أن هذا التشبيه ليس بواقع على المرأة كإنسان كرمه الله، ورفع من قدره؛ إذ يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [22]،

وإنما هو واقع على جسد المرأة المثير لحظة نظر الرجل إليه بغير وجه حق؛ إذ يأخذه ذلك الجسد بفتنته، فيرغب فيه، ويشتهيه، وعندئذ ينطفئ سراج العقل، وتنقدح نيران الغريزة، فيستغرقه الجسد كل الاستغراق حتى يرمي به في المهالك. وإلى ذلك الفهم ذهب العلماء في تبيين المراد من التشبيه النبوي.

يقول الإمام النووي: ذهب العلماء إلى أن معناه: الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له[23].

لعل النبي صلى الله عليه وسلم جعل في تشبيهه صورة الشيطان ظرفا لإقبال المرأة وإدبارها؛ ليدل على عظم فتنة جسد المرأة وبعد خطره على الرجال. يقول الطيبي رحمه الله في شرحه معلقا على ذلك: جعل صورة الشيطان ظرفا لإقبالها مبالغة على سبيل التجريد؛ لأن إقبالها داع للإنسان إلى استراق النظر إليها كالشيطان الداعي للشر، (وتدبر في صورة شيطان)، لأن الطرف رائد القلب، فيتعلق بها عند الإدبار أيضا بتأمل الخصر والردف، وما هنالك، خص إقبالها وإدبارها مع كون رؤيتها من جميع جهاتها داعية إلى الفساد؛ لأن الإضلال فيهما أكثر، وقدم الإقبال، لكونه أشد فسادا لحصول المواجهة به[24].

لعل الترهيب النبوي من صياغة المشبه به قد وقع على صورة المرأة، فهو قرن المرأة بصورة الشيطان، وليس بالشيطان ، وهذا بدهي، لأن صورة المرأة هي منبع الإثارة والإغواء. فيه تنبيه من النبي صلى الله عليه وسلم للسامع على أن ما يظهر له من حسن جسد المرأة وجماله الأخاذ يخفى وراءه الكثير من القبح والشرور؛ لأن هذه الصورة الحسنة عند التمحيص ليست غير صورة شيطان يرمى في المهالك.

المبحث الثالث: التشبيه المركب في صحيح مسلم

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم التشبيه المركب في حديثه كما فعل التشبيه المفرد، أذكر بعض النماذج من صحيح مسلم.

الحديث الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر[25].

أراد النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذه التشبيهات بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة في الفضل والأجر[26]، فجعل فضل المبادر في الساعة الأولى على الآتي في الساعة الثانية كفضل من تصدق ببدنة على من تصدق ببقرة، وجعل الآتي في الساعة الأخيرة كأنما تصدق ببيضة، فأبان من خلال هذا الأسلوب عما بين السابق واللاحق من تفاوت كبير في الفضل والثواب، ولا سيما بين الآتي في الساعة الأولى، والآتي في الساعة الأخيرة، فالأول تصدق ببدنة، والأخير تصدق ببيضة، وبين الفعلين بون شاسع في الفضل، وفرق بعيد في الثواب.

وكان يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم الاكتفاء بالساعة الأولى والأخيرة، أو بالساعتين الأولى والثانية والساعة الأخيرة، وتفهم الساعات الأخر ضمنا، ولكنه عدل عن هذا النحو المجمل إلى التفصيل؛ لما في التفصيل من إلحاح على التفاوت، وبيان له مرة بعد أخرى، ولا يخفى أن في ذلك ترغيبا شديدا في فضيلة السبق، وتحصيل الصف الأول، والاشتغال بالذكر والتنفل[27].

ولعل أبرز ما يتميز به البناء اللغوي لتشبيهات الحديث هو بناؤها على أسلوب الشرط: (من راح... فكأنما قرب...). ولعل طبيعة الحديث الشريف، ووظيفته تفسر ذلك، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن في أكثر الأحيان يوجه الأمر توجيها مباشرا إلى الفرد المسلم إلى أن يفعل كذا، أو يبتعد عن كذا، وإنما كان يوضح الحقيقة المجردة، ويبين الحكم العام لكي يتيح للإنسان حرية الرأي واستقلال التفكير؛ ليسأل كل فرد عن عمله، ويتحمل كل امرئ مسؤوليته، وأسلوب الشر من أكثر الأساليب التي تساعد على ذلك[28].

الحديث الثاني:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف، ولا آتيه، و أنهى عن المنكر، و آتيه[29].

التشبيه في قوله صلى الله عليه وسلم (فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى) تشبيه صريح مركب، انتزع فيه الشبه من الدوران على هيئة مخصوصة، هي: دوران الرجل بأمعائه، ودوران الحمار برحاه، وهو يعرض فيه لصورة بشعة من صور عذاب يوم القيامة، لرجل كان في الدنيا يأمر بالخير، ولا يأتيه، وينهى عن الشر، ويقع فيه، إذ يصوره لنا، وقد اندلقت أقتابه، وراح يدور حولها مرة بعد أخرى، ولغرابة الصورة، واستحالة تصور وقوعها أتبعها النبي صلى الله عليه وسلم بصورة دنيوية هي صورة الحمار يدور برحاه؛ وذلك لإزالة حس الغرابة الذي يحس به السامع.

هناك صلة التشبيه النبوي بما قبله من كلام، وبما بعده نجد أن ما سبقه من إتيان وإلقاء واندلاق هو مجرد توطئة له، وأن ما جاء بعده من اجتماع وسؤال وجواب مرتب عليه، لهذا جيء بفعلي التوطئة (يؤتى)، و(يلقى) على صيغة المضارع المبني لغير فاعله، وذلك لاستحضار الأحداث، وصرف النظر إليها، وجعل السامع يعاينها حتى لكأنه يراها رأي العين.

الحديث الثالث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجوه، فيخرجون منها حمما قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة، أو الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟[30].

يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل) سرعة بعث الحياة في عصاة الموحدين من بعد أن كتب الله عليهم الموت بسرعة بعث الحياة في الحبة، وهي من بذور البقل مما ليس بقوت[31].

وسبق أن جاء في التشبيه المفرد الصريح تشبيه يكاد يطابق هذا التشبيه، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينبتون كما ينبت البقل) وواضح أن التشبيهين يلتقيان في الغرض، وفي تناولهما لمشهد الإحياء بعد الموت، ويلتقيان في استمداد المشبه به من نبات البقل، وكذلك في الأداة، وفي بناء المشبه على الاستعارة (ينبتون)، ولكنهما يفترقان بعد كل هذا التلاقي لمجيئهما في سياقين مختلفين، فالتشبيه الذي هنا تشبيه مركب؛ ذلك أن الغرض ليس تصوير سرعة انبعاث الحياة في عصاة المؤحدين فحسب، كما الحال بالنسبة للتشبيه المفرد، وإنما الغرض تصوير ذلك على هيئة بعينها، هي الضعف، يدل على هذا تقييد الفعل بالجار والمجرور: (في حميل السيل)؛ لأن الحبة إذا نبتت في هذا المكان خرجت من كثرة أخذ الماء ضعيفة، يوضح هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم (ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟).

الحديث الرابع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر قال: هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها لورقا. قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرق[32].

إن الرجل الذي جاء من بنى فزارة قد ولدت له زوجه غلاما أسود، وما هو بأسود، ولا هي بسوداء، فتسرب الشك إلى نفسه أن تكون زنت، ففزع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عليه مشكلته يريد حلا وتفسيرا.

من المعروف لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حكيما كل الحكمة في حل مشكل الرجل؛ إذ سلك به مسلكا يرضى نفسه القلقلة، ويقنع عقله الراغب في البيان، فلم يقل له: (اتق الله، وإياك والظن)؛ لأن مثل هذا القول على جلالته لا يواجه الواقع الذي يفرض الشك، ولا يعالج جوهر المشكلة، ومن ثم فإنه لا ينفع كل النفع في التهدئة والإقناع، وإنما قال له قولا بناه على التشبيه المركب الصريح، وتقدير الكلام فيه: (إنما مثلك ومثل غلامك الأسود كمثل الإبل

الحمر تلد وُرقا قد نزعها عرق). فشبه اختلاف اللوق بين الرجل وولده الأسود باختلاف اللون بين الإبل الحمر ومواليدها من الوُرق، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلق التشبيه على هذا النحو المباشر، وإنما بناه على الحوار؛ وذلك ليعالج ما أهم الرجل، وأشكل عليه من أحسن طريق، فيقنع عقله، ويرضي نفسه.

بنى النبي صلى الله عليه وسلم تشبيهه على أسلوب الحوار، فأحسن بذلك غاية الإحسان، فالتشبيه المبني على الحوار يقوم على إشراك الرجل في بناء الحوار، ومن ثم الاحتجاج عليه، وله بمايصدر عن لسانه، ولذلك لما قال الرجل: (عسى أن يكون نزعه عرق) حجه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله، فقال له: (وهذا عسى أن يكون نزعه عرق).

يقال: (نزع إلى أبيه في الشبه ينزع، أي ذهب).

وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع حال الرجل أسلوب حسن لا نرى له وجودا في التشبيه المجرد؛ لأن التشبيه المجرد يقوم على إلقاء الكلام دفعة واحدة، ومن ثم ترك الرجل يتأمل التشبيه، ويفكر فيه، ويقيس النظير إلى نظيره، وليس من الحسن[33].

الحديث الخامس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عزوجل؟ قال: لا تستطيعونه. قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، وقال في الثالثة: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام، ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى[34].

التشبيه في هذا الحديث يتصل بتشبيه المفرد، سبق درسه (في الصفحة الرابعة في هذا البحث)، هو قوله صلى الله عليه وسلم (الساعي على الأرملة والمسكين...). لأن ما شكل المشبه في المفرد صار هنا مشبها ومشبها به، فقد شُبه المجاهد في سبيل الله بالصائم القائم، وأُريد منه، كما أريد من التشبيه المفرد، الكشف عن الأجر العالي للمجاهد في سبيل الله، والذي لا يطيقه إنسان، وذلك بقرنه بجملة من الأعمال التي لا يستطيع أي أحد إنجازها، ومن ثم الحصول على أجرها.

فُصّل في المشبه في التشبيه الثاني تفصيلا شديدا، فكثرت الصفات والأحوال كثرة لم نرها في التشبيه الأول، فجيء بثلاث صفات لموصوف محذوف، إذ تقدير الكلام: كمثل الرجل الصائم، القائم، القانت، وقُيّد الوصف الثالث بالجار والمجرور (بآيات الله) في دلالة الاستغراق فيها، ثم جيء بجملة حالية: (لا يفتر من صيام، ولا صلاة) قُيد فعلها بحرف الغاية (حتى).

الخاتمة:

تناولت في هذه الدراسة التشبيه الصريح في صحيح مسلم، وقد قسمت البحث بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث، فتناولت في المبحث الأول: عن مفهوم التشبيه وأنواعه، وتناولت في المبحث الثاني: عن بعض نماذج من التشبيه المفرد من صحيح مسلم، وتناولت في المبحث الثالث: عن بعض نماذج من التشبيه المركب، ثم انتهيت بخاتمة. بعد هذه الجولة القصيرة وصلت إلى بعض النتائج وهي:

1- إن التشبيهات النبوية جاءت منتشرة في صحيح مسلم في جميع الموضوعات، ومشتملة جميع أغراض التشبيه التي استخرجها علماء البلاغة.

2- تنوع التشبيهات الصريحة بين الظاهر والضمني، إلا أن الضمني كان قليل الورود، وبُني الظاهر في الغالب على (الكاف)، وقلت التشبيهات التي بنيت على (مثل، وكأن)، وبُني الضمني على أسلوب التفضيل وتقرير المخاطب بالمشبه به بأسلوب الاستفهام.

3- كثرة المؤكدات في تشبيهات الفتن، والعالم الآخر؛ وذلك للحاجة في هذين المقامين لمزيد التقرير والتوكيد لتوضيح المعنى الغيبي، وتقريب المشهد الغريب.

4- إسقاط المشبه من بعض التشبيهات التي قامت على (مثل) نحو: (مثل الجنة والنار) في حديث الدجال، وذلك لنكتة بلاغية، وتقدير المحذوف يكون من خلال المشبه به.

5. تكرار صورة المشبه به، كما في تشبيه جسد المرأة بصورة الشيطان.

وأخيرا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتنا، كما أسأل الله أن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ثم ما كان من توفيق فمن الله وحده وله الشكر وله الثناء الحسن، وما كان من خطأ أو زلل أو سهو أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

المصادروالمراجع

[1] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم***، ط2، (القاهرة: دار الحديث، 2010م)، كتاب المساجد و مواضع الصلاة، ج3، ص103، رقم الحديث812

[2] . الجاحظ، ***البيان والتبيان***،تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1985م)، ج2، ص17

[3] . ابن منظور، ***لسان العرب***، ط1، (القاهرة: دار الحديث، 2003م)، ج5 ، ص24

[4] . ابن فارس، ***معجم مقاييس اللغة***، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، (بيروت: مكتبة الهلال، 1993م)، ج3، ص243

[5] . الجوهري، ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، (بيروت: دار العلم للملايين، 1987م)، مادة (شبه).

[6] . القيرواني، ابن رشيق، ***العمدة في محاسن الشعر وآدابه***، تحقيق: د. محمد قرقزان، ط2، (دمشق: مطبعة الكاتب العربي، 1994م)، ج1، ص488.

[7] . الجرجاني،عبد القاهر بن عبد الرحمن، ***أسرار البلاغة***، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط1، (القاهرة: دار المدني، 1991م)، ص87.

[8] . السكاكي، ***مفتاح العلوم***، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)، ص332.

[9] . سورة الجمعة، الآية: 5

[10] . د. عبد الله عيد شعبان، ***البلاغة التطبيقية***، ط1 (القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2020م)، ص133.

[11] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم***، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم فسوق، ج1، ص202، رقم الحديث 97.

[12] . المباركفوري، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن، ***تحفة الأحوذي***، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2015م)، ج6، ص100

[13] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم***، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، ج3، ص286، رقم الحديث 2982

[14] . المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد، ج1، ص 322، رقم الحديث 430.

[15] . العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، ***فتح الباري على شرح صحيح البخاري***، ط2، (بيروت: دار المعرفة، 2002م) ، ج2، ص302.

[16] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم***، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد، ج1، ص 322، رقم الحديث 430.

[17] . المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، ج1، ص156، رقم الحديث 169.

[18] . المصدر السابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، ج4، ص2270، رقم الحديث 2955.

[19] . المصدر السابق، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، ج4، ص179، رقم الحديث 2292.

[20] . النووي، يحي بن شرف، ***شرح النووي على صحيح مسلم***، ط3، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392ه)، ج15،ص85

[21] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم***، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها، ج2، ص1021، رقم الحديث 1403

[22] . سورة الإسراء، الآية: 70

[23] . النووي، يحي بن شرف، ***شرح النووي على صحيح مسلم***، ج9، ص178.

[24] . الطيبي، شرف الدين، ***الكاشف عن حقائق السنن***، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي،ط1، (مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، 1997م)،ج7، ص2270.

[25] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم***، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، ج2، ص582، رقم الحديث 850.

[26] . الزرقاني، محمد بن يوسف، ***شرح الزرقاني على الموطأ***، ط1، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2003م)، ج1، ص370.

[27] . العيني، بدر الدين، ***عمدة القارئ على شرح صحيح البخاري***، ط1، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2002م)،ج6، ص172

[28] . د. عودة خليل أبو عودة، ***بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف***، ط1، (عمان: دار البشير، 1991م)، ص509.

[29] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم***، كتب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، ج4، ص2290، رقم الحديث 2989

[30] . المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج المؤحدين من النار، ج1، ص172، رقم الحديث 184.

[31] . القرطبي، .....***الجامع لأحكام القرآن***، ط2، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964م)، ج3، ص304،

[32] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم*** ، كتاب اللعان، ج2، ص1137، رقم الحديث 1500.

[33] . محمود السيد شلبي، ***أسلوب الحوار في صحيح مسلم***، ب ت(المنصورة: جامعة الأزهر،1998م)، ص261.

[34] . النيسابوري، مسلم بن حجاج، ***صحيح مسلم***، كتاب الإمارة، فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، ج3، ص286، رقم الحديث 2982.